

# مفهوم النفاق في ثقافة الإمام علي..

## الجزء الأول

ثقافة تلميذ النبوة (علي) عن النفاق تشبه ثقافة القرآن عن النفاق؛ من حيث عمق النفاق وانتشاره وخطورته وتأثيره ؛ وقد كتبت بعض ذلك في الماضي؛ ولكن الضرورة للتذكير ومزيد من التوضيح، لتكشف للناس حقيقة النفاق؛ وأنها أخطر وأعمق وأخفى مما تصوره الثقافة العامة..

يقول الإمام علي في وصف المنافقين وثقافة النفاق: (أوصيكم ، عباد الله بتقوى الله ، وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون ؛ والزالون المزلون؛ يتلونون ألواناً، ويفتنون افتتاناً، ويعمدونكم بكلّ عماد، ويرصدونكم بكلّ مرصاد، قلوبهم دوية ، وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبّون الضراء؛ وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكّدو البلاء، ومقنطو الرجاء ؛ لهم بكلّ طريق صريع، وإلى كلّ قلب شفيح، ولكلّ شجو دموع؛ يتقارضون النّشأ، ويتراقبون الجزاء؛ إن سألوا ألحفوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا؛ قد أعدوا لكلّ حقّ باطلاً، ولكلّ قائم مانلاً، ولكلّ حيّ قاتلاً، ولكلّ باب مفتاحاً، ولكلّ ليل مصباحاً! يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلامهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق، وأضلّوا المضيق ؛ فهم لمة الشيطان، وحنة النيران (أولئك حزب الشيطان، ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون) اهـ

خطبة جليّة سنسرحها؛

- ١-أما قوله (الضالون المضلون): فهذا واضح، هم ضالون يحسبون أنهم مهتدون، وتكون عندهم مصداقية لظنهم أنهم مهتدون، فيضلون بهذا عباد الله.
- ٢-وأما قوله (الزالون المزلون) فالزلل هو الخطأ الدقيق، الذي لا ينتبه له العامة، ولفظتا (ضلّ وزلّ) قرآنيّتان؛ بينهما فرق دقيق.. الزلل خطأ خفي.
- ٣-وأما قوله (يتلونون ألواناً)؛ فهذا ظاهر حالهم؛ مع الحكومات بوجه ومع داعش بوجه ومع أهل الحقوق بثالث ومع انتهاك الحقوق برابع = يتلونون ألواناً.
- ٤-وأما قوله ( ويفتنون افتتاناً)؛ أي لهم فنون في القول والعمل، يتفننون في التلون، وسمي (حمار الوحش) فناً، لتفنه في الركض، لا يركض على صفة..
- في أساس البلاغة (٣٨ / ٢) مادة: ( ف ن ن ) : أخذ في أفانين الكلام. وافتنّ في الحديث وتفنن فيه. وجرى الفرس أفانين من الجري)، وفي مختار الصحاح (الفن) (واحد الفنون، وهي الأنواع، والأفانين الأساليب؛ وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجل (متفنن) أي ذو فنون، و (افتنّ) الرجل في حديثه وفي خطبته = بوزن اشتقّ؛ جاء بالأفانين، والفنن الغصن، وجمعه (الأفنان) .. الخ
- المهم هنا هو قوله (افتنّ الرجل) لمطابقته للفظ المشروح من كلام الإمام..
- ٥-قوله (يعمدونكم بكلّ عماد) أي يقصدونكم، عمدت فلاناً = قصدته بالأذى؛ من ضرب ونحوه، ومنها الحديث (يعمد أحكمك إلى المرأة المغيبة.. الخ)؛ وقال الشيخ محمد عبده (إذا ملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمدة من الخديعة حتى توافقوهم)، وأدق معنى وجدته للعماد هنا، في جمهرة اللغة (وعمدتّ للأمر، إذا قصدته أعمده عمداً؛ وعمدتّ الشيء أعمده عمداً، إذا أسندته؛ والشئ الذي يسند إليه عماد) اهـ

عجيب!

- ٦-قوله (ويرصدونكم بكلّ مرصاد)؛ أي يراقبونكم ويتجسسون عليكم، مثل ما رأيتم قبل قليل، حتى بدعوى المرض العضال وذل السؤال! المهم المراقبة!

مدهش!

- ٧-قوله (قلوبهم دوية وصفاحهم نقية)؛ دوية من الداء، أي قلوبهم مريضة (في قلوبهم مرض) /حقداً/ بغض؛ وصفاحهم (صفاح وجوههم) نقية -ظاهراً - من أي عداوة!
- ٨-قوله (يمشون الخفاء ويدبّون الضراء)..

لا إله إلا الله!

يمشون متخفين سريان المرض (الضر) في البدن، ليحدثوا الضرر في الأموال والأنفس والثمرات.

- ٩-قوله (وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء)؛ يصفون الحق والصدق والفضيلة.. بأحسن وصف من حيث الأقوال؛ ولكن فعلهم داء يعجز الأفهام! وهذه الصفة من مفاتيح فهمكم لهم؛ فقد يدعون محاربة التطرف - مثلاً - بالأقوال الحسنة حتى تقول: كيف ظهرت داعش؟ ولو دققت لوجدتهم إزارها ورداءها! وقد يدعون - مثلاً - لعدم الاختلاط مع بيان خطورته الكبيرة! وخطورة الموسيقى؛ ثم يتفاجأ أتباعهم بوجودهم فجأة في حفلات صاخبة اختلاطاً وموسيقى.. فيصيب من لا يفهم (العياء)؛ أي العجز عن الفهم. ومن هنا قال (وفعلهم الداء العياء)! يقال هذا المرض (أعياء) الأطباء، أي عجزوا، أو لا يمكن شفاؤه.

١٠- قوله (حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء ومقتطو الرجاء)!

أوصاف عجيبة!

انظروا اليوم ماذا فعلوا بالعراق وسوريا وليبيا وغيرها؛ أكدوا البلاء وزادوه (حسدة الرخاء)؛ يحسدون على السعة ويتمنون أن يتدمر أهل الرخاء في الغرب مثلاً؛ يفرحون بكل كارثة؛ من زلازل وأعاصير وفيضانات وتفجيرات = حسدة الرخاء؛ (ومؤكدو البلاء)؛ كأفعالهم في سوريا والعراق واليمن وليبيا وأفغانستان الخ؛ يزيدون أهل البلاء بلاءً.. واضح جداً.

أنا مندهش! كأنني أقرأ هذا لأول مرة.

(ومقتطو الرجاء)؛ أي؛ إذا أنت تفاعلت أو رجوت أشياء خيرة - لم تأت منهم - يعترضون ويؤكدون لك بأن هذا التفاؤل لن يحصل ولن يحدث؛ يقتطونك/ يحبطونك.

١١- قوله (لهم بكل طريق سريع، وإلى كل قلب شفيع)!

أما هذه؛ فلا تحتاج لشرح؛ هي عجب من العجاب، وواقع متحقق في قديم النفاق وحديثه.. مذهل!

انظروا إليهم وهم يشنعون على الغرب الكافر الصليبي؛ ثم ماذا؟ من كان يظن أن هذا الشيخ سيسلمه الصليبيون جائزة؟ وأن النصر ستنسق مع إسرائيل؟ لماذا (لهم إلى كل قلب شفيع)؟ لأن الشيطان قائد الضلال العام؛ هو صاحب القرار للمنافقين وشفعاينهم؛ يمسك الكيس من أعلاه؛ وأولياؤه في أدناه؛ ويس.

قوله (ولكل شجو دموع)؛ أي أن لهم قدرة على الحزن تصنعاً متى أرادوا؛ إذا بكى البعيد لمصيبة فرحوا وشمتموا؛ وإذا بكى من حولهم لها بكوا وشجوا؛ وقد يتسع المعنى في بكانهم على كل مصيبة يتسببون فيها؛ إظهاراً للبراءة وتغطية على التسبب، فيكون على وضع المرأة والطفل والأخلاق الخ؛ وهم المنبع.

١٢- قوله (يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء).

الله أكبر!

أي كل واحد يثني على الآخر (قرضاً) لثني عليه (قضاء).

تذكرت قصصاً كثيرة! والعبارة لعلها تفتح بعض أسرار الأحاديث المنكرة في المناقب! ولعل ما كتبناه عن (المراسيم الأربعة) تسهم في كشف بعض ذلك أيضاً..

فعلأ يخادعون!

ولعله إلى هذا المعنى أشار دعبل الخزاعي: مناقب لم تُدرِك (بكيد) ولم تُنَلَّ... بشيء سوى حد القنا الذربات!

يعرض بآخرين (يتقارضون الثناء).

١٣- قوله (إن سألوا ألحفوا، وإن عذلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا)؛ مثالها قبل قليل؛ هذا (الحكمي) الذي ألحف في السؤال؛ فلما ذم كاشف وأسرف في الحكم؛ إذا سألوا ألحفوا؛ أي بالغوا وألحوا في المسألة؛ وإذا عذلوا كشفوا؛ أي إذا لاموا فضحوا من يلوونه بقسوة؛ ولا يتورعون أو يستترون (العذل = اللوم)؛ وإن حكموا أسرفوا = يسرفون في الحكم بالبراءة والثناء؛ أو الحكم بالإدانة والذم؛ يسرفون في الأمرين؛ من أحبوه بالغوا في مدحه؛ ومن أبغضوه بالغوا في ذمه؛ والمثال أيضاً واضح في الوثائق التي أرسلها السائل قبل قليل. لم استطع نشر كل إسرافه في ذمي لشناعتها وفحشها؛ وقبلها جعلني شيخاً جليلاً مطاعاً! وهي ثقافة واسعة جداً؛ ولا يرد علي أحد بأنني بالغت في ذم فلان وقلت إنه من المنافقين أو أهل النار... لأنني إنما أتكلم هنا وفق قناعة بصحة نصوص؛ لو لم تصح عندي النصوص أولاً؛ ثم الوقائع؛ لما ذممت.

ثم المعارض يحكم على الملايين بالنار وفق أحاديث ضعيفة ووقائع غير شاملة!

المهم؛ الله الموعد.

١٤- قوله (قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مانلاً).

شيء عجب!

إذا أنتيتهم بأية أتوك بحديث؛ وإذا جنتهم بحديث صحيح أتوك بحديث ضعيف؛ لكل حق باطل؛ وهكذا في كل النصوص والوقائع والبراهين؛ يبطلون الصحيح بالضعيف؛ والصريح بالمظنون؛ والوقائع بالأوهام؛ والمنطق بالإنشاء؛ والبرهان بالشبهة.. الخ؛ (ولكل قائم مانلاً)؛ مثلاً؛ لا يثبتون على المشتركات الواضحة القائمة؛ كمسائل الصراط المستقيم؛ لا بد أن يميلونها مع ظنونهم المائلة..

١٥- قوله (ولكل حي قاتلاً)؛ أي أعدوا لكل حي قاتلاً؛ قتلوا حياة الضمير بالقسوة؛ وحياة العقل بالوهم؛ وحياة الناس بالقتل؛ وحياة الجمال بالحرمة.

١٦- قوله (ولكل باب مفتاحاً)!

هل هناك باب لا يفتحونه؟ عندهم مفاتيح الأبواب كلها؛ مادية ومعنوية؛ حتى أبواب الشر والبلاء؛ وأبواب المكر والدهاء. ١٧- ولكل ليل مصباحاً!

إذا أظلم عليهم ليل، أشعلوا مصباح خديعة، وتبعهم الشفعاء والمخدوعون...

١٨- قوله (يتوصلون إلى الطمع باليأس؛ ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا أعلامهم)؛ أي يتوصلون إلى الطمع بنشر اليأس ليقبل عليهم الناس وينفقوا بضائعهم؛ وكم تاجروا بالقضايا بعد تينيس الناس من أي حلول أخرى! هم الحل فقط! حتى

على مستوى الرقية، لهم فيها تجارة رابحة؛ بينسونك من الشفاء إلا عندهم.  
١٩- قوله (يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون)؛ هذه لا تحتاج لشرح كثيراً؛ تفرج على وصال وصفاً؛ وكثير من الخطباء؛ وكثير من التراث؛ وكثير من القنوات.

٢٠- قوله (قد وسعوا الطريق وأضلعوا المضيق)؛ أي أول ما يدعونك ترى طريقهم واسعاً كالوادي؛ ثم ما إن تدخل معهم حتى تراه ضيقاً معوجاً كالضلع؛ أي أول ما تسمع منهم يقولون: تعال، كتاب وسنة؛.. ثم تكتشف كيف يضيقون عليك الطريق حتى كأنك تتنفس من خرم إبرة.. لا تجد الله ولا كتابه ولا رسوله.  
٢١- قوله (فهم لمة الشيطان وخمة النيران)؛ أي جماعة الشيطان، لَمَهُمْ وجمّعهم؛ وهم حمة النيران، أي لسعها ولهيبها؛ يقال (حمة العقرب إبرتها).

-22 ثم ختم بالآية (أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون).  
من نظر سياق الآية وجدها فيما وصفه أمير المؤمنين، أي في المنافقين.  
اهـ

أكتفي بهذا؛ ولعلنا نشرح لاحقاً حقيقة النفاق وعمقه وغموضه وانتشاره وتأثيره؛ حتى أخرج لنا من يتعبد بمشروع الشيطان ويتقرب إلى الله بأبلغ معاصيه.

قلنا في الحلقة الأولى، اخترنا علماً في هذا الموضوع لأنه تلميذ النبي وتربيته فله خصوصية؛ وقد ذكرنا في الحلقة الأولى خطبة له عن المنافقين وثقافة النفاق وخطرها وعمقها وانتشارها وتأثيرها، وكل هذا في عهده؛ فكيف بنا اليوم؟ وهذا الجزء الثاني ويختلف بأنه أقوال متفرقة للإمام علي؛ وهي أقوال عميقة جداً؛ لاسيما وأنه يعرف المنافقين بخصوص أيضاً لأنه الصحابي الوحيد الذي قال فيه النبي (لا يبغيضك إلا منافق) - صحيح مسلم - فلا بد أن يكون عنده مزيد من علم بالنفاق والمنافقين وخصائصهم؛ فهم أعداؤه المخالطين والمحاربين.  
ومن أقوال الإمام علي المتفرقة في النفاق والمنافقين:

١- (يَاكَ وَالنِّفَاقَ فَإِنَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ وَجِيهاً عِنْدَ اللَّهِ.)

٢- (النِّفَاقُ أَخُو الشَّرِّ). ويدل عليه اقتران الآية: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ}.. بينهما ترابط قوي.

٣- (النِّفَاقُ تَوَامُ الْكُفْرِ). ويدل عليه: {وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ}؛ و... (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ)؛ والمنافق مسلم من جهة وكافر من جهة أخرى؛ أي؛ له أحكام المسلمين في الدنيا؛ ولكنه من الكافرين في الآخرة؛ اسماً وعقوبة. بل عقوبته أشد بسبب ضرره.

٤- (النِّفَاقُ مِنْ أَثَافِي الدَّلِّ)، نعم؛ المنافق ذليل.

٥- (النِّفَاقُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمِينِ) أي الكذب.

٦- ما أقبح بالإنسان؛ باطناً عليلاً وظاهراً جميلاً).

٧- المنافق مكور مضر، مرتاب).

مكور أي ذليل لنيم ذاهب ضوؤه، ومن هذا المعنى (إذا الشمس كورت)؛ أي ذهب ضوؤها؛ ومن التكوير أيضاً قال الأعشى: شتان ما يومي على كورها.... يوم حيان أخي جابر!

كورها يعني (كور الناقة)، أي رحلها الذي يوضع لتذليلها أو لتذليل الركوب نفسه؛ البيت في الشقشقية؛ ورجل مكور = القصير العريض (لسان العرب)؛ فقد يراد به المعنى المجازي؛ أي رأسه لا يصل السماء؛ ولكنه عريض في الأرض، يجمع أربع وظائف ويدخل كل باب!

٨- (عادة المنافقين تهزيع الأخلاق)؛ أي تكسيرها.

قول عجيب!

هههه

٩- ما أقبح بالإنسان ظاهراً موافقاً وباطناً منافقاً).

١٠- النفاق يفسد الإيمان).

١١- نفاق المرء من ذلّ يجده في نفسه).

١٢- النفاق شين الأخلاق).

١٣- المنافق وقح غبي، متملق شقي).

١٤- المنافق لا يرغب فيما قد سعد به المؤمنون!)

١٥- المنافق إذا نظر لها (من اللهو عن الاعتبار)؛ وإذا سكنت سها؛ وإذا تكلم لغا؛ وإذا استغنى طغا؛ وإذا أصابته شدة ضغا (أي ذلّ وهان)؛ فهو قريب السخط بعيد الرضا، يسخطه على الله اليسير، ولا يرضيه الكثير، ينوي كثيراً من الشر ويعمل بطائفة منه، ويتلهف على ما فاتته من الشر... الخ

١٦- المنافق لنفسه مداهن، وعلى الناس طاعن).

١٧- أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يعمل بها، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها).

١٨- المنافق مريب.

١٩- نص عجيب في نشر المنافقين؛ أحاديث كثيرة في أيام الخلافة؛ وهم ممن يدعون الصحبة ولا يعرفهم الناس؛ وذلك في جواب له على سائل عن الحديث فقال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ على عهده، حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس؛ رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالاسلام؛ لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره، ووصفهم بما وصفهم؛ فقال عزوجل: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ)، ثم بقوا بعده (يعني المنافقين)؛ فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان؛ فولوهم الاعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا؛ إلا من عصم الله؛ فهذا أحد الاربعة) اهـ ثم ذكر الثلاثة الأصناف الأخرى التي فيها الواهم والراجل يأتي الأمر ولا يعلمه، وأثنى على الصنف الرابع الضابط فقط. وهذا النص جليل، وله واقع، وكان كثير من الولاة محل سخط المخلصين؛ كما أن في النص بقاء المنافقين بعده ونشرهم الحديث وقوة أثرهم، من تلك الأيام.

أخيراً: تدبروا هذه الأقوال، وانظروا من يعظم ويحذر من شأن المنافقين وأثرهم، هل يشبه القرآن؟ أم الذي يحفظ حديثاً أو اثنين وليس له هذه المشابهة؟ وقد تركت أكثر هذه الأقوال بلا شرح ولا ذكر أمثلة؛ فالأقوال واضحة ومتونها منيرة بمشابهة ثقافة القرآن نوعاً وكماً.

يجب تصحيح النظرة عن النفاق.